بلاد المجر كما عرفتها

للدكتور فيليب شدقاق

وترجمها من الألمانية إلى العربية الدكتور طه دنانة

خريج جامعتى ليبزج وبرلين

إذا كان الشاعر الانجليزى كبلنج قد قال كلمته المشهورة : « الشرق شرق ، والغرب غرب، ولن يلتقيا » ، فانى على يقين أنه لم يكن قد زار بلاد المجر حينما قالها .

إننى فى رحلتى إلى برلين لم أسافر عن طريق غرب أوربا ، بل عن طريق اليونان ، حيث زرت أثينا وآثارها ، وأمتعت النظر بسلانيك وماذنها البيضاء ، واخترقت يوجوسلافيا ، وأخذت بخصب تربتها ، وعرجت على «أسكوب وبلغراد»،ودلفت إلى «المجر»،وقضيت حقبة طويلة فى عاصمتها الرائعة « بودابست » ، ورأيت — وأنا أعجب من تصرف الحدثان — من خمود الحركة بـ«فينا» ما يقرب إلى الشلل التام؛وزرت «براج». وشاهدت جنوب ألمانيا وما فيه من دور الصناعة الكبرى الساكنة الحركة فى الآونة الحاضرة من الكساد العام ، ورأيت الشىء الكثير من الفاقة والشقاء .

على أنى لم يسترع نظرى،ولم يدهشنى فى رحلتى الطويلة — فى الممالك والقرى — أكثر من المجر وعاصمتها بودابست،فهذه المملكة وأهلها قد غيرت رأيى كل التغيير فى كلمة « كبلنج » .

إن رحلة بودابست قد ساعدنى فيها الجد الصاعد،فقد أوصى بى صديق بالقاهرة أصدقاءه فيها ، فاستقبلنى فى المحطة الكاتب المجرى المشهور الدكتور كورنيليوس تابورى ، وزارنى كثير من الأفاضل بفندق سانت أولرث المشهور بحماماته المعدنية ، وقد قدموا لى كل مساعدة ممكنة لدراسة بلادهم وشعبهم فى ماضيه وحاضره ، وكم كانت دهشتى وإعجابى بهذا الشعب يتزايدان كلما استغرقت فى تعرف أحواله ، ذلك الشعب الذى يفخر — حتى اليوم — بأنسابه المنغولية ، وبالرغم من ذلك لا تجد بينه وبين شعوب غرب أوربا فرقاً ما فى أى ناحية من نواحى الحياة فى الحضارة والمدنية والعلم .

وقد تكرر شعوب أوربا الأخرى أن تسمع أو تقرأ أنها ترجع بأصولها إلى أنساب آسيوية ، وأن سكان أوربا الأصليين ليسوا سوى الكلت فى إرلندا وباسكن لند ، وأن شعوب غرب أوربا لم تصل إلى درجة رقيها فى الحضارة والثروة إلا بعد تأثرها بالبيئة ، وأنها كانت من قبل شعوباً آسيوية ، مواردها الزراعة ورعى الماشية ؛ ولكن الشعب المجرى لا يستنكف من ذلك ، بل يحرص كل الحرص فى المحافظة على ذكراه .

(منظر عام لمدينة بودابست عاصمة بلاد المجر)

فى سنة ٨٦٩ م. ـ بعد مضى ٣٠٠ سنة على موقعة أتيلا الشهيرة ـ هاجر ارپاد شعب المجريين الوطن المنغولى إلى بلاد المجر الحالية التى لم تكن — حتى ذلك العهد — سوى مستعمرة رومانية ، ففتح هذا الشعب البلاد . وتغلب على أهلها الذين كانوا يرجعون إلى أصل سلافى ، واستأصل ـ بحد السيف ـ من لم يخضع له ويندمج فيه. وقد احتفل المجريون سنة ١٨٩٦ بصورة زيتية كبيرة تغطى داخل قنة سمكها مائة متر، تمثل دخولهم البلاد وهجرتهم إليها: فترى الرجال فى ثياب من الفراء ، ووراءهم عربات تقل النساء والأطفال تجرها الثيران ، ويرى من ذلك كيف كانوا يعنون بذويهم ويوفرون وسائل الراحة لهم فى الرحيل ؛ وقد قام المجريون بغزوات كثيرة فى ألمانيا وفرنسا ، ولكنهم ارتدوا أخيراً وقبعوا فى المجر ، وقد قاد ارپاد شعبه تحت حماية (إله الحرب) هودار ، وكانوا يقدمون له الضحايا فى ذلك العهد من الخيول المطهمة خوفاً من غضبه ، ورجاء لمعونته .

ودخلت المسيحية فى عهد القديس ستيفانوس الذى حكم من سنة ٩٩٥ إلى سنة ١٠٣٥ ، وقد حببت إليه المسيحية وهو صغير ، وضعه إليها القديس جيراردس : ونستطيع أن نرى كيف قوبلت المسيحية بالعنف ، إذا عرفنا أن عباد الخيل — وقد عبدت فى الفترة السابقة — قد قبضوا على القديس جيراردس خفية وقذفوا به فى « الدانوب » .

وهنجاريا : بلد زراعى أكثر منه صناعى ، وفى وسعنا أن نقدر ثروتها الزراعية من غلال وفاكهة وغيرها إذا زرنا المعرض الزراعى ، ورأينا ما فيه من شتى الحاصيل .

وأما علم الطب فأريد أن أتحدث إليك عنه برهة ، فانه ليس فى تلك البلاد أقل شأناً ولا أحط مستوى منه فى جاراتها ، وقد زرت كثيراً من مستشفياتها ومصحاتها فى بودابست وضواحيها ، فوجدتها فى نظامها واستكمال أدواتها مثلها فى بقية عواصم أوربا الغربية ، وأشير على الخصوص إلى معهد الأستاذ بارون كورانى فى كلية الطب ، فلست ترى فيه وسائل التشخيص والعلاج فحسب ، بل فيه قسم خاص بالأبحاث العلمية الكيماوية وفحص كل جديد ، وقد صدر عنه كثير من الطرق المستحدثة للعلاج ، وكان له فضل المشاركة فى كفاح السل .

وطالما اشتد عجبى حينما رأيت كثرة المصابين بالسل فى بلاد المجر ، فانها ـ وإن كان جوها جميلا ، وهواؤها طيباً ، وماؤها سائغاً لذيذاً مما يجعلها بمثابة مصيف لجاراتها ـ فان السل ناشب أظفاره فيها إلى مدى بعيد، وكل مصحاتها ومستشفياتها ملأى بصرعاه ؛ وقد زرت فى ما زرت مصحة (إلزابت) فى بودا كبى — ضاحية لبودابست — واستقبلتنى الدكتورة الآنسة إريت بارات التى تشغل وظيفة مدير ثان للمصحة ، وهى فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وعلى مستوى عال من التربية ، وجد ماهرة فى مهنتها ؛ وقد قادتنى إلى كل (عنابر) المرضى ، ورأيت كيف تعنى بهؤلاء المساكين ، وكيف توفر لهم أسباب التسلية ، حتى إنه لا ينقصهم الاستمتاع بالراديوم فى مرقدهم .

وقد لفت نظري قلة العناية بالاصحاء ، ولكن هناك العناية بصحة المرضى والوقاية من شر المرض المستطير على أتمها ؛ ولهذا يدخلون المصحات أولئك الذين هم في حالات متأخرة حتى لا تنتشر بهم العدوى ، تاركين غيرهم من الأخف مرضاً لعناية الأطباء الخصوصيين .

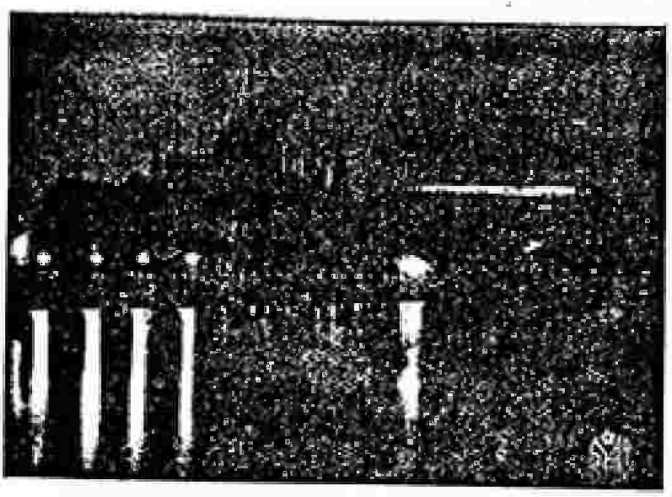

(دار برلمان بلاد المجر ، ومنظر جبل سانت جلرت في الساء)

وفي سنة ١٨٩٦ أقام المجريون بناء دار برلمانهم وهي تقع على « الدانوب » وتشبه في عظمتها وفن بنائها دار البرلمان الانجليزي على « التيمس » وقد زرتها في صحبة المستشار سلطان سفير بني ، وقد تفضل بالافضاء إلي بكل ما أردت من معلومات ؛ وهو رجل وجيه فاضل ، واسمه يدل على تغلغل الشرقية في هذا الشعب .

وقد رأيت في الصالات (المتاحف) كثيراً من الآثار والعاديات الثمينة والصور الزيتية الفاخرة ، وقد سحرت مما رأيت من النقوش العربية النحاسية والذهبية والبلاط المجري البديع .

أما بودابشت فهي مدينة رائعة ممتدة على جانبي الدانوب ، والجزيرة الواقعة بين الشاطئين تكون جزءاً من البلد ، ويصل بين شطري البلد عدة جسور جميلة ، وفي الجزيرة كثير من

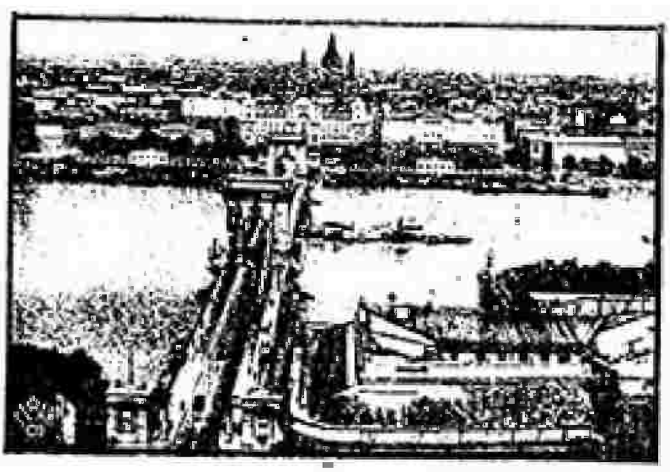

(جسر (كوبري) بودابست العائق)

الينابيع المعدنية الطبيعية الصالحة لأمراض الروماتزم والمعدة وفقر الدم ، وقد تنبه الأتراك بين سنتي ١٥٢٦ — ١٦٧٦ إلى الانتفاع بهذه الينابيع فبنوا عليها الحمامات وعنوا بتنظيمها ، وبقي كثير منها قائماً حتى اليوم ، وأجلها حمام الحاكم سليمان .

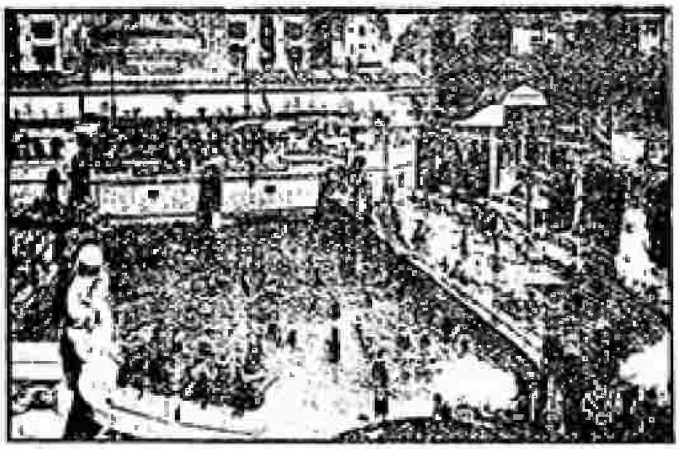

(حمام سانت جلرت في أحد فنادق بودابست)

ومما يستحق الذكر المسرح المسمى مسرح فستنج الذى عزف فيه بتهوفن سنة ١٨٠٠ ؛ ويرى فيه تمثال للموسيقار العظيم ؛ والمسرح يقع بالقرب من القلعة .

والقلعة تقع على قمة جبل ، وإليها قصر الملك ، وإلى جانبه كنيسة على النمط القوطى ، بنيت سنة ١٢٢٧ ، وقد حولها الأتراك سنة ١٥٤١ إلى مسجد ؛ ويحكى: أن درويشاً يدعى بلبابا خر صريعاً فى حفلة ذكر ، فبنى له ضريح جميل لا يزال حتى اليوم فى بودابست .

وكان المجريون - قبل هجرتهم إلى بلاد المجر - يكتبون ويتكلمون بلغة تشبه الصينية ، فلما استقروا فى المجر استبدلوا الحروف اللاتينية بحروفهم .

وبودابست مكونة من بلدين كانتا منفصلتين : إحداها تسمى بودا ، والأخرى بست ، واندمجتا سنة ١٨٨٣ ، وبودا يرجع اسمها إلى الاله الهندى المعروف .

وقد أسهبت فى وصف بلاد المجر الجميلة وعاصمتها حتى أقوم بتصويرها - على قدر الامكان - لشعوب الشرق الأوسط ، وإذا زاروها رأوا أكثر مما سمعوا عنها ، وأكثر مما يسعنى أن أصور لهم .

والمجريون ظلوا تحت حكم الأتراك نحو قرن ونصف قرن ، وتحت آل هابسبرج نحو ثلاثة قرون ، ولكنهم طيلة هذه المدة وما بعدها لم ينسوا أصولهم ، ولم يغفلوا أنسابهم ، ولم يتركوا دراسة تاريخهم ؛ ومع هذا فقد ساهموا فى تقدم الحضارة والفن والعلم والصناعة .

وأخيراً : أقول إنه لو كان « كبلنج » زار بلاد المجر ، ودرس حال هذا الشعب دراسة استقصاء واستكناه ، بدلا من تقلبه بين انجلترا والهند ، والهند وانجلترا ، لغير رأيه ، ولقال معى :

« الشرق شرق ، والغرب غرب ، وسيلتقيان »

طه دنانة